سلسلة شرح

مدارج السالكين

للإمام ابن القيم -رحمه الله-

د. أبو بكر القاضي

المستوى الأول: (من منزلة اليقظة إلى منزلة التوبة)

www.abobakrelkady.net
abobakrelkady AboBakr Elkady

المحاضرة الأولى: (الجزء الثاني)

«السلام عليكم ورحمه الله وبركاته»

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، ثم أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثُمّ أما بعد:

فقد شاء الله تبارك وتعالى أن يكون الطريق إليه مفتوحًا لكل أحد يبذل قلبه ووقته لله تبارك وتعالى فلا حاجز بين الإنسان وبين كماله بتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى إلا نفسه الأمارة بالسوء، وشيطانه وذنوبه، فإن تغلب على ذلك بإذن ربه يرى من آثار كرمه وآثار رحمته ما يدهش العقول {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} [هود:٧٣]

عطاؤه تبارك وتعالى عجيب، فضله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وإذا اصطفاك واجتباك لفضله ولكرمه ولرحمته؛ فإنك ترى من عجائب ذلك ما لا يحيط به عقله وما لا يحيط به قلبك.

قال تعالى: {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [الشورى:٢٦]، وكلما استجبت كلما زادك من فضله فلا نهاية للطريق إلى الله تبارك وتعالى، حتى وإن كان أهل السلوك عدة المنازلة مئة فنحن نقول:

أن منازل السائرين إلى الله تبارك وتعالى غير محصورة لا تحصر ولا يعلم عددها؛ فإن هذا من فضل الله تعالى وفضل الله تعالى غير محصور كما سمعنا في الآيات {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور:٣٨] ، وأعظم من رزق الأبدان، والأقوات، والأطعمة، والأشربة رزق القلوب والأرواح، فإن هذا من أعظم الرزق.

قال النبي ﷺ: "إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِينِ" [البخاري ومسلم]

حين قيل له: إنك تواصل، وأراد الصحابة رضوان الله عليهم الوصال فقال لهم لا تفعلوا "إِنِّي لستُ كَهَيئَتِكُم إِنِّي أبيتُ يُطعمُني ربِّي ويَسقيني" ولا شك أن هذا الطعام والسقاء في هذا الحديث هو طعام وسقاء روحي قلبي يفيض على قلب النبي ﷺ من معاني الإيمان والعرفان والإحسان ما يغنيه عن الأطعمة والأشربة والأنكحة أيضًا، فإنه تنطلق روحه إلى ربه تبارك وتعالى تخترق السموات حتى يسجد القلب تحت العرش فلا يقوم من تلك السجدة حتى يوم اللقاء.

قيل لوهب بن منبه أويسجد القلب؟ قل إي وربي سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء، وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: "ومن الصفوه رجال مذ تيقظوا ما ناموا، ومذ عرفوا ما نكروا، ومذ سلكوا ما وقفوا هم دائمًا في صعود وترقٍ".

وقال أبو سليمان الداراني لتلميذه جنيد: "يا جنيد إذا استوى يومك وامسك فأنت في نقصان" لو النهارده زي إمبارح يبقي إنت بتقل (لو زيه مش أقل منه) ينبغي أن يكون كل يوم كما أنه نقص من عمرك واقتراب إلى القبر أن يكون زيادة في الدرجات..

- {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء:٩٦]

- {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [آل عمران:١٦٣]
- {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:١١]

- قالَ النبي ﷺ: "إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أعَدَّها اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِ اللَّهِ، ما بيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ" [البخاري]
- قال النبي ﷺ: "يقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها" [أبو داود، الترمذي، النسائي، أحمد واللفظ له]
- قال النبي ﷺ" إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم" [صحيح الجامع]

زي ما بتشوف النجمة البعيدة كده تقول هذه منزلة الولي، هذه منزلة العالم، هذه منزلة النبي، هذه منزلة الرسول، هذه منزلة الصالح المصلح وهكذا.

- وقال ﷺ عن آخر رجل يدخل الجنة كما ورد في مجموع الأحاديث أن له خمسين ضعف الدنيا، وله ما لذت عينه واشتهت نفسه كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: "سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ

الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ"

إذًا الآن ينبغي على جميع المستمعين أن يربطوا الأحزمة؛ لأننا على متن طائرة، وسوف تنطلق لنرى فقط ما حال هؤلاء القوم الذين سبقوا الله تبارك وتعالى؟!

* وهل هذه الحياة الكئيبة التعيسة المادية التي نحياها هي منتهى المطاف؟

* هل هذا فعلًا هو النعيم في الطعام والشراب والجنس؟

* هل هذه الطموحات التي نطمح لها في حياتنا ونرتئيها في أحوالنا وسلوكياتنا هل هذه هي الحياة؟! أم أننا أموات نحتاج إلى حياة؟

ومرضى نحتاج إلى شفاء؟ ونعيش في ظلمات ونحتاج إلى بصائر ونور هذا هو الأمر!!

وقفنا الأسبوع الماضي مع فوائد معرفة منازل هؤلاء السائرين حتى وإن كنا لم نشم له رائحة، ونحن اليوم على موعد مع ذلك التحليق، تحليق الأرواح لرؤية منازل القوم يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فاسمع الآن وصف القوم" وصف السابقين الذين سبقوا إلى الله تبارك وتعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر:٣٢]

يقول ابن القيم: "فاسمع الآن وصف القوم، وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل؛ فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح".

هذه هي القضية: إياك حين تقرأ سير السلف أو سير السابقين تقول ما لي ولهم وقد بعدوا بيني وبينهم الشقة أقول لك: (مولانا مولاهم ويعطينا من أعطاهم)

لماذا دائمًا تتقزم، ولماذا لا تتعرض لرحمات الله عزوجل ونفحاته؟!

{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦]

على قدر إحسانك يهبك الله تبارك وتعالى، وينزل عليك من رحماته وبركاته ولا يحجزك عن ذلك شيء.

يقول: "فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فأحمد الله".. فتشبهوا بالرجال إن لم تكونوا مثلهم، إن التشبه بالرجال فلاح حتى لو كنا ليس مثلهم ولكننا نتشبه بهم، أفضل ممن يتشبه بالراقصين والراقصات، والممثلين والممثلات، ونجوم المجتمع الذين ظلمًا وزورًا سموا نجومًا وهم في الحقيقة لا يرتقون حتى ليكونوا حجارة.

يقول: "فأحمد الله، فأدخل في الطريق واضح والباب مفتوح"

أمال ليه بتقول: إن هي مقفولة؟

هو في الحقيقة الباب لا يغلق، أمال من الذي يغلق؟

إيه المشكلة؟ أين العثرة ؟ أين العقبة؟

العقبة عندك، أنت الذي تدخل الحجرة وتغلق على نفسك، أما الطريق عامل زي الطريق السريع كده ما بيقفلش أمال إيه اللي بيحصل؟ أنت الذي تدخل في خندق، وأنت الذي تقفل على نفسك بالترباس من الداخل، وأنت الذي تقفل من الداخل وليس من الخارج

أنت تقفله من الداخل وتقول الطريق مغلق!

لا الطريق مفتوح لكن كبلتك ذنوبك وخطاياك، كما قال الحسن البصري: "إن رأيت نفسك لا تقوم الليل، ولا تصوم النهار فاعلم أنك محروم قد كبلتك ذنوبك وخطاياك"

يقول: "إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك، فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك".. "إذا أعجبتك خصال امرئ": يعني لو عجبتك أوصاف حد تعمل إيه؟

تقعد تمصمص في شفايفك وتقول ياسلام محترم والله، والله الواحد بيسمع كلامك بيتكيف!

لا دا إنت المفروض إن إنت تسمع، فكنه تسمع كلام يعجبك اعمله ليه؟ عشان تعجب بنفسك والإعجاب مش الإعجاب المحرم، وإنما أن تفرح بفضل الله عليك.... ما الذي يحجزك؟

فليس على الجود والمكرمات (الجود هو الكرم، والمكرُمات هي مكارم الأخلاق) إذا جئتها حاجب يحجبك!

- ما الذي يحجبك أن تكون أسبق الناس إلى الله؟

- ما الذي يحجبك أن تكون أعبد الناس لله؟

- ما الذي يحجبك أن تكون أخشى الناس لله ولا يسبقك إلى الله أحد؟

ما الذي يحجبك عن ذلك كله؟!

نفسك، شيطانك، ذنوبك، وشهواتك...إذًا المشكلة عند من؟ عندنا.

يقول ابن القيم مش في مدارج السالكين دي مقدمه بقى لسه: "نبأ القوم عجيب وحالهم أعجب، وأمرهم أخفى إلا على من له مشاركة مع القوم".. آه اعتراف ضمني من ابن القيم إن له مشاركة مع القوم؛ لأننا قلنا في الأسبوع الماضي حين قال: "ونستغفر الله الذي لا إله إلا هو أن نصف حال قوم لم نبلغه بل لم نشم له رائحة"..

نقوله: لا اتفضحت إنت شميت رائحة ولك مشاركة معاهم عشان كده وصفت حالهم، ولكنه يقول هذا من باب الازراء على النفس "فنبأ القوم عجيب وحالهم أعجب، وأمرهم أخفى إلا على من له مشاركة مع القوم؛ فإنه يطلع من حالهم على مايريه إياه القدر المشترك"..

الرجل الذي اسمه القشيري أو أي أحد وصف منازل القوم كالهروي أوغيرهم ماذا يصفون؟! يصفون ما ذاقوه، وما وجدوه، الأشياء التي ذاقوها، هل معنى ذلك أنهم قد استوعبوا كل منازل السائرين وكل المشاعر والأحاسيس التي خالطت نفوس السابقين؟

نقول لا، هو فقط أشار على الأمر الذي عاشه لكن الأمر أعمق من ذلك وأكبر.

يقول ابن القيم: "وجملة أمرهم أنهم قوم".. دائمًا ما يقول قوم، يقول وهذا الأمر عند القوم، وهذا الشأن عند القوم) فمن القوم؟

هؤلاء القوم المشار إليهم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:٥٤]، وطبعًا عندهم المحبة هي أغلى الأماني، وأعلى المنازل.

يقول: "وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله وعُمرت بمحبته، وخشيته، وإجلاله، ومراقبته"..

خذ بالك الطائرة طلعت، وبدأت تبص من فوق على الدكاكين والبيوت وتقول مالهم بقوا حاجات صغيرة؛ لأنها طلعت فوق بقى (حين يعرف الله ينسى المخلوق، وينسى الأسباب وينسى الأنكاد والغموم والهموم)

"قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وعُمرت من محبته وخشيته وإجلاله ومراقبته فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب" ماهذا الذي يحدث يا جماعة؟

تحول في كل شيء حتى يصبح اسمه تحول، وهكذا المحبة سرت في أجزائهم ومفاصلهم وعروقهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا تصح لك عبودية ما دام لغيره فيك بقية" (كلك يكون لله)، هل يكون ذلك بالكلام؟.. **لا إنما بالعمل:** يعني كهربة مخك لاتفكر إلا في مراد الله، ومشاعرك لا تتحرك لغير لله، إنما في الله، ويديك ورجليك لاتتحرك إلا لله.

قال تعالى في الحديث القدسي: "فبي يسمَعُ، وبي يُبصِرُ، وبي يبطِشُ، وبي يسعى" [مجموع الفتاوى] **ماذا يعني؟!**

"لم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، قد أنساهم حبه ذكر غيره وأوحشهم أنسهم به ممن سواه، قد فنوا بحبه عن حب من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه، وبخوفه ورجائه والرغبة إليه، و الرهبة منه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والسكون إليه، والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره"

يا رب ماليش غيرك، أبات واصحى في خيرك، متحوجنيش لغيرك.. حياته كلها قائمة على الله تبارك وتعالى ولا يلتفت عن الله.

كنت دائمًا أقول للإخوة عاوزين تخلصوا حياة أبو بكر الصديق ألخصها لكم في كلمتين من فيه (يعني من فمه) حين قال له النبي ﷺ: "يا أبا بَكرٍ مررتُ بِكَ وأنتَ تصلِّي تخفِضُ صوتَكَ، قالَ: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسولَ اللَّهِ"، بس واقفل بقى أي كتاب في سيرة أبي بكر الصديق؛ فإن هذا هو العنوان الذي تحته كل حياة أبي بكر لم يلتفت عن الله طرفة عين في معاملته مع الله، مع الرسول، مع المؤمنين، في معاملته مع الأمة، في قيامه بأعباء ومسئولية الأمة والخلافة لم يلتفت عن الله فأصبح أبا بكر الصديق -رضي الله عنه-

يقول ابن القيم: "فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه" (أما يجي ينام عشان تعرف وهو صاحي بيعمل إيه؟ لأنه لما يجي ينام بيعمل إيه فما بالك وهو صاحي يبقى عامل إزاي؟)

يقول: "إذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه متذكرًا صفاته العلى وأسمائه الحسنى".. عندما ينام لا ينام إلا و يذكر ربه ويقول الأذكار(آية الكرسي آخر آيتين في سورة البقرة والمعوذات وقل هو الله أحد، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، ويكبر ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله ثلاثًا وثلاثين)

ويجتمع قلبه عن ربه تبارك وتعالى مشاهدًا له في أسمائه وصفاته.. قد تجلت على قلبه أنوارها؛ فنصبغ قلبه بمعرفته ومحبته فبات جسمه في فراشه (هو نائم على الفراش بس هو مش نايم هوصاحي) فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه"

كلمة المأوى وردت في القرآن في سورة النجم: {عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ} [النجم:١٥]، ولكن هذه هي جنة الآخرة.

هناك جنة أخرى في الدنيا: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠]، الإيواء إلى الركن الشديد جنة المأوى في الدنيا.

هل تعلم ما هو الإيواء؟!

هناك منزلة اسمها منزله العطش، يقول: عطش المريد إلى بيت يسكن فيه، وإلى إشاره تشفيه، وإلى معنى يأوي إليه.. يكون عطشان أن الله يأويه مثلًا الإنسان عندما يصيبه هلع أوخوف أو غير ذلك أول مايقوله هو " يا أمي" يحتاج إلى أحضان أمه كما يأوي الطفل إلى أحضان أمه، وهكذا إيواء العبد إلى السجود لله، وإيواء العبد إلى ربه في الدنيا بالتوكل عليه، وفي الآخرة بالقرب منه في جنة المأوى..

ما طابت الدنيا إلا بذكره..

وما طابت الآخرة إلا بعفوه..

وما طابت الجنة إلا برؤيته.

يقول: "فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه"

إذا أويت إلى الله فاعلم أن الله سيؤيك، ويحميك، ويرعاك، ويحفظك.

* لماذا لا يحفظك؟... لأنك لم تحفظه.

* لماذا لايأويك؟ ... لأنك لم تأوي إليه.

* لماذا لا يذكرك؟.... لأنك لم تذكره.

* لماذا نساك ؟... لأنك نسيته.

* لماذا حال بينك وبين قلبك؟ لأنك قد جفوته وبعدت عن ذكره فكانت العقوبة.

عبدي قم إلي أمشي إليك، وامشِ إلي أهرول إليك.

قاعدة من قواعد السير إلى الله: على العبد البداية وعلى الله التمام.

عليك البداية: إبدأ والله سيتم لك أمرك في الخير.

ما تنمش وتشد اللحاف وتقول لا أجد قلبي، نفسي أتوب، وبعدين؟!

تتوب وأنت نايم ولا بتعمل إيه؟!

تتوب وأنت قائم بالليل، وأنت صائم بالنهار، وأنت قارئ لوردك،

و أنت مجتهد في دعوتك إلى الله تبارك وتعالى.

يقول: "قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه"

ما معنى أسجده؟ يعني أنت لن تسجد إلا إذا الله أذن لك أن تسجد، يقيمك بين يديه، يوفقك إلى السجود.. "وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلًا منكسرًا من كل جهة من جهاته"

خد بالك ممكن تكون منكسر من ناحية ومش منكسر من ناحية، يعني إيه؟ يعني في واحد عنده نقطة ضعف وحاسس بيها بس هو في نفس الوقت شايف نفسه في ناحية ثانية يقول: أنا ضعيف في النقطة دي، بس أنا جامد في النقطة دي.

فيعول على نفسه مثلًا يقول: ليس لي نقطة ضعف مع النساء ولكن مع الفلوس ضعيف فينكسر لله أن يطهر قلبه مثلًا من المال ولا ينكسر أن يطهر الله قلبه مثلًا من شهوة النساء!

لا، لابد أن تنكسر من كل جهة من جهاتك حتى في نقاط قوتك تعلم أنها معطلة عن التنفيذ والعمل إلا أن يوفقك الله تبارك وتعالى.

* كم من ذكي تبلد ذهنه؟!

* وكم من قوي تتيبس عضلاته؟!

* وكم من متحرك تتوقف حركته؟!

* وكم من قلب كان حيًا أماته الله؟!

يبقى كله جهة مش جهة دون جهة.

يقول: "وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلًا منكسرًا من كل جهة من جهاته، فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء" وقيل لبعض العارفين أيسجُد القلب بين يدي ربه؟! (وهو وهب بن منبه) فقال: إي والله سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

"إذا سجد القلب تلبس البدن بالطاعة؛ حتى يختم له الخاتمة الحسنة، ولكن إذا سجد البدن دون القلب؛ فإنه يرفع من سجوده وقد يتقلب قلبه، فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه

بيداء الأكوان (صحراء الاكوان) وخرق حجب الطبيعة ولم يقف عند رسم ولا سكن إلى علم (شيء مادي) حتى دخل على ربه في داره (دار الله الجنة) فشاهد عز سلطانه، وعظمة جلاله، وعلو شأنه، وبهاء كماله، وهو مستوٍ على عرشه يدبر أمر عباده، وتصعد إليه شهود العباد، وتعرض عليه حوائجهم وأعمالهم"

قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: "قامَ فِينا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بخَمْسِ كَلِماتٍ، فقالَ: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجابُهُ النُّورُ، وفي رِوايَةِ أبِي بَكْرٍ: النَّارُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ" [مسلم]

الرسول ﷺ يعلمهم ذلك ليجعل قلوبهم حاضرة مع الأسماء والصفات يقوم فيهم بهذه الكلمات الخمس فقط، قال ﷺ:"يمينُ اللهِ ملأَى، لا يَغيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ باللَّيلِ والنَّهارِ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّماواتِ والأرضِ، فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينِه" [البخاري ومسلم]، كل هذا من أول خلق السماوات والأرض لم ينقص ما في يمينه وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع، تشوف ده من نن عينين قلبك.

"وتصعد إليه شؤون العباد، وتعرض عليه حوائجهم وأعمالهم فيأمر فيها بما يشاء، فينزل الأمر من عنده كما أمر" تشوف بالفعل كن فيكون.

"فيشاهد -بقلبه- الملك الحق قيّومًا بنفسه، مقيمًا لكل من سواه"

مشهد التوحيد الحقيقي: مفيش أسباب، مفيش مخلوقات، مفيش أوثان، مفيش كفر.

يقول: "يشاهده مقيمًا لكل من سواه، غنيًا عن كل ما سواه، وكل من سواه فقير إليه"، {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:٢٩]

- يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويفك عانيًا.

- وينصر ضعيفًا، ويجبر كسيرًا.

- ويغني فقيرًا، ويميت ويحيي.

- ويسعد ويشقي، ويضل ويهدي.

- وينعم على قوم، ويحجب نعمته عن آخرين.

- ويعز أقوامًا ويذل آخرين، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين.

يرى الكون كأنه مسرح عرائس، مسرح العرائس بيكون مشدود بإيه بخيوط كده، هو شايف الكون كله مشدود بخيوط.

آثار الأسماء الحسنى والصفات العلى، أنوار الأسماء الحسنى يراها في نزع الملك ممن يشاء، وفي إيتاء الملك لمن يشاء، ويعز من يشاء، والتوبة على من يشاء، والرحمة على من يشاء، والعذاب على من يشاء، وتعليم من يشاء ويضل من يشاء، وهداية من يشاء.

يرى الكرة الأرضية مدبرة كلها بأنوار الأسماء والصفات، ويفهم معنى"وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ" [مسلم]

أن كل ما يقدره خير حتى لو لم يعرفه العباد{وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]

يقول: "ويشهد له قلبه كما أخبر عنه أعلم الخلق به وأصدقهم في خبر، حيث يقول في الحديث الصحيح: قالَ اللَّهُ عزَّوجلَّ: "أنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ. وقالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ" [مسلم والبخاري]

حد ودانه وجعته؟ ما هو الناس لما بتطلع في الطيارة الضغط الجوي يتعب لها أذنها حد جرب يركب الطيارة ولا محدش جرب؟!

اه يتعبك وممكن أنت برضه تقعد تسمع هذا الكلام مش قادر تشاهد الضغط الجوي شديد شوية، طيب تعمل إيه تنزل من الطيارة ولا تحاول تأخد مسكن علشان تكمل السفر، وهكذا اصبر حتى يفتح الله عليك.

يقول: "فيشاهده كذلك يقسم الأرزاق و يجزل العطايا"

بالله عليك واحد شايف كده لما يجي يسأل شيء سيسأل ربنا ولا غير ربنا؟! لما يرى أن الله هو الذي يطعم ويسقي، وأنه تبارك وتعالى يقدر المرض و يشفي، وهو الضار النافع، المعطي المانع، المعز المذل، القابض الباسط، الخافض الرافع، هل سيسأل الناس؟

- سينظر إليهم؟

- سيعبرهم، سيهتم بهم، سيرائيهم؟

- سيعمل عمله من أجلهم؟

- سيخافهم من دون الله؟

مش معقول، مش ممكن بقول لك شايفهم كالأشباح، لا يملكون لأنفسهم موتًا ولا حياةً ولا نشورًا أمال هما إيه؟

أموات أولاد أموات، وتراب يمشي على تراب.

يقول: "ويمن من فضله على من يشاء من عباده بيمينه"

اليمين بها يتفضل على من يشاء وفضله واسع، وباليد الأخرى الميزان العدل فإذا عاقب يكون بالعدل، وإذا أعطى يكون بالفضل.

"وباليد الأخرى الميزان يخفض به من يشاء، ويرفع به من يشاء عدلًا منه وحكمة لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فيشهده وحده القيوم بأمر السماوات والأرض ومن فيهن، ليس له بواب فيستأذن، ولا حاجب فيدخل عليه به، ولا وزير فيؤتى، ولا ظهير فيستعان به، ولا ولي من دونه فيتشفع به إليه، ولا نائب عنه فيعرفه حوائج عباده، ولا معين له فيعاونه على قضائها، بل قد أحاط سبحانه بها علمًا، ووسعها قدرة ورحمة، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جودًا وكرمًا، فلا يشغله منها شأن عن شأن، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين لو اجتمع أول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل منهم مسألته ما نقص ذلك من عنده ذرة واحدة إلا كما ينقص المخيط البحر إذا دخل فيه ولو أن أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا"

مش محتاج عبادتك!

طيب عبادتي أنا مش محتاج ليها، عبادتي أنا جامدة...لا برضوا.

ده أنا بقوم الليل وبصوم النهار.... لا برضوا.

طيب احنا كلنا نقوم الليل ونصوم النهار؟!... لا برضو، ليس محتاج لنا {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت:٦] العالمين يعني جميع الخلائق.

طيب الملائكة لا تفتر، ولا تأكل، ولا تشرب ومع ذلك غني عن عبادتها، يبقى إحنا بنعبد ليه بقى؟ **ربنا أمرنا بالعبادة ليه؟** علشان إحنا ننجو بأنفسنا، وعلشان نشعر بالسعادة.

قال تعالى: {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه:١،٢]

يقول لك: هتوب أمرنا لله هتوب بقى!

تقول له: لا عنك ما تبت يا أخويا خليك يا خويا!

يقول: خلاص حرجع بقى وأتوب.

تقول له: أنت بتمن عليَّ أنت هتوب عشاني؟ ده أنت بتوب علشانك مش عشانه... عشانك أنت.

- عشان تنجو.....أنت.

- عشان تفرح....أنت.

- عشان تعيش....أنت.

- عشان تخرج من البهيمية...أنت، لكن هو غني، "ذلك بأنه هو الغني الجواد الماجد فعطائه كلام، وعذابه كلام {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [يس:٨٢] كاف ونون"

"ويشهده (القلب) كما أخبر الصادق المصدوق حيث قال: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجابُهُ النُّورُ، وفي رِوايَةِ أبِي بَكْرٍ: النَّارُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ" [مسلم]"

السُّبحات: هي الإشعاعات طيب ما الذي يمتد إليه بصر الله؟

كل الخليقة، إذًا الخليقة كادت أن تحترق لولا أن حجب الله أنوار وجهه بذلك الحجاب (رحمة)

"وبالجملة فيشهده في كلامه، فقد تجلى سبحانه وتعالى لعباده في كلامه"، من أجل ذلك ذكرت لكم أمس أن الكلام عن القرآن هو الكلام عن الله، يعني عندما تتكلم عن القرآن، أنت لاتتكلم عن مخلوق إنما أنت تتكلم عن خالق.

- علاقتك بالقرآن...علاقتك بالله.

- تعظيم القرآن .... تعظيم الله.

- توقير القرآن.... توقير الله، لماذا؟! لأن القرآن كلام الله، والكلام صفة المتكلم.

* طريقك إلى القرآن هو طريقك إلى الله.

* قربك من القرآن هو قربك من الله.

* بعدك من القرآن هو بعدك عن الله.

فاختر لنفسك أي منزلة من القرآن ستكون بعينها منزلتك من الله ماهو رأيك؟

"فقد تجلى سبحانه وتعالى إلى عباده في كلامه، وتراءى لهم فيه، وتعرف إليه فيه، فبعدًا وتبًا للظالمين والجاحدين" {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم :١٠]

{لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} [البقرة:١٦٣]

"فإذا صارت صفات ربه وأسمائه مشهدًا لقلبه: أنسته ذكر غيره، وشغلته عن حب سواه، وجذبت دواعي قلبه إلى حبه تعالى بكل جزء من أجزاء جسده وروحه، فحين إذنْ يكون الرب تبارك تعالى سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، فما بقي عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، ومن غلظ حجابه، وكثف طبعه، وصلب عوده فهو عن فهم هذا بمعزل"

الناس اللي فهمها تخين متفهمش الحديث ده" فبي يسمع، وبي يبطش، وبي يمشي"، يقول لك: يعني إيه؟ حلول واتحاد يعني الله يحل في الخلق؟ لا يا أخي.... هو فوق العرش وهو معك معية المحبة والقرب، ده مش فاهم يعني إيه حب؟ والحب قرب في الحقيقة.

يقول: "بل لعله يفهم ما لا يليق به تعالى من حلول واتحاد أو يفهم من غير المراد فيحرف معناه، وفي الحقيقة"... الآية اللي احنا سمعناها في الصلاة {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠]، الآية التي قبلها: {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ} [النور:٣٥]

هل موسى كان يعرف أنه سيلقى الله في الصحراء؟!

وهل كان يعرف أصلًا أنه طالع الصحراء من أجل أن يلقى الله، وأنه على موعد؟! هو على موعد ولكن ليس هو الذي رتبه. {ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} [طه:٤٠]، يعني هو على موعد، لكن من الذي وضع هذا الموعد؟! ملك الملوك.

خارج علشان يروح لأهله في مصر من مدين، لقى نار من بعيد فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا أجيب لكم خبر أو وجذوة من النار بدل السقعة اللي انتوا فيها دي، فذهب فإذا بملك الملوك يخاطبه:

{ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [القصص:٣٠]

رأى الشجرة تحترق وتشتعل نارًا، وكلما ازدادت نارًا كلما ازداد اخضرارها ونارها متصلة بالسماء هذا أثر من آثار نور الله تبارك وتعالى، خلق الله في هذه الشجرة نور، ثم تكلم الله بكلام حقيقي صفة من صفاته، وسمعه موسى عليه السلام.....ما هذا عباد الله؟

{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠]

قال: "وبالجملة فيبقى القلب الذي هذا شأنه عرشًا للملأ الأعلى أي: عرشًا لمعرفة محبوبه ومحبته وعظمته وكبريائه، وناهيك من قلب هذا شأنه فياله من قلب من ربه ما أدناه، ومن قربه ما أحظاه!"

ليس فقط قريب، إنما قريب ويأخذ حظوظ ونِعم.

"فهو ينزه قلبه أن يساكن سواه"

لا يليق بقلبه أن يحب أحد غير الله.

تقول له: طيب حب فلان، طيب كل، طيب اشرب.

يقول: سلمت قلبي خلاص زي عندما تقول له: تعال كُل

يقول لك: لا غسلت أسناني، غسلت قلبي مش هجرب أحب حد تاني.

يقول: "أو يطمئن بغيره، فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان"

لسة الطيارة شغالة صاروخ شغال طيب إيه اللي مخليهم زي الصاروخ زي السكينة في الزبدة؟!

قوة الدفع أكبر من قوة الجاذبية علشان الصاروخ ينطلق لازم تكون قوة دفعة أكبر من قوة الجاذبية.

قوة الحب لازم تكون أقوى من الشهوة وأسبق، وتقهر الشهوة.

"فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان، وسجدت تحت العرش، وأبدانهم في فروشهم"

تقول: كل هذا يحدث معه وهو نائم فكيف لو كان مستيقظ ماذا كان سيفعل؟ يقول أبو الدرداء: "إذا نام المؤمن صعدت روحه حتى تسجد تحت العرش فإن كان طاهرًا أذن لها بالسجود، وإن كان جنب لم يؤذن لها"، لذلك لابد أن تنام على طهارة.

يقول: "ولهذا السر أمر النبي ﷺ الجنب إذا أراد أن النوم أن يتوضأ، وهو إما واجب على أحد القولين أو مؤكد الاستحباب على القول الآخر، فإن الوضوء يخفف حدث الجنابة ويجعله طاهرًا من بعض الوجوه، ولهذا روى أحمد وسعيد بن منصور وغيرهم عن أصحاب النبي ﷺ أنه: إذا كان أحدهم جنبًا وأراد أن يجلس في المسجد توضأ ثم جلس فيه، وهذا مذهب الإمام أحمد وغيره.

يقول: "فتأمل هذه المسألة وفقهها"

أن تخفف الجنابة حتى تعرج روحك.

"واعرف بها مقدار فهم الصحابة وعمق علومهم، فهل ترى أحد من المتأخرين وصل إلى مبلغ هذا الفقه الذي خص الله به خيار عباده" وهو جنب يفكر في معراج روحه إلى السماء، وهو على فراش الزوجية {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة:٢٢٣]

تعلم أنك ملاقي الله وأنت على فراش الزوجية، فتتقي الله في زوجتك، كيف يجمع القلب مثل هذه الشهوة و مثل هذه الروح العالية؟ هذا هو قلب العبد الذي أي فعل، وأي حركة له لا يفعلها من أجل شهوة مجردة، وإنما من أجل حبه لربه تبارك وتعالى.

"فإذا استيقظ هذا القلب من منامه صعد إلى الله بقلبه وحبه وأشواقه.. مشتاق له محبًا له عاكف عليه فحاله حال المحب الذي غاب عن محبوبه الذي لا غنى له عنه"

واحد بتحبه قوي وبعد عنك شوية هتقول له إيه؟

وحشتني، يعني إيه وحشتيني؟ يعني أصابتني الوحشة في غيابك.

إذا كان هذا مع المخلوقين فكيف بالخالق؟

أنت نمت وبعدت شوية ينبغي عليك أن تقترب.

يقول: "ولا بد له منه وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى التنفس والطعام والشراب، فإذا نام غاب عنه فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه و إلى الشوق الشديد، والحب المقلق فحبيبه آخر خطراته عند منامه وأولها"

أول حاجة تخطر على باله لما يصحي مين؟

الله، "أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ" [مسلم]

"الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحْيَانَا بَعْدَ ما أمَاتَنَا، وإلَيْهِ النُّشُورُ" [البخاري]

كما قال بعض المحبين لمحبوبته:

أَآخِرُ شَيءٍ أَنتِ في كُلِّ هَجعَةٍ

وَأَوَّلُ شَيءٍ أَنتِ عِندَ هُبوبي

أول حاجة تفتكرها عندما تصحى من نومك اعلم أنها أغلى حاجة عندك.... شوف نفسك ماهي أول حاجة تفتكرها؟! الفجر، أو القيام، أو الشغل، أو الكلية، أو أكل العيش، أو الإفطار.

يقول: "فقد أفصح هذا المحب عن حقيقة المحبة وشروطها فإذا كان هذا في محبة مخلوق فما الظن بمحبة المحبوب الأعلى؟ فأف لقلبٍ لا يصلح لهذا" أخيه على قلب ما يفهمش اللي احنا قولناه النهارده! ولا يسعى أن هو يعمل الحاجات اللي احنا قولنا عليها النهارده.

تقول لنفسك: اخيه عليك، اخص عليكِ، مش عايز أشوف وشك تاني، سيبيني مش عايز أشوفك ثاني "تبص في المراية كده وتتف"

إن أنت تصدق إنك متخليش حد يسبقك إلى الله، لا أنا هتعلم اسم اسم من أسماء الله الحسنى، وأرى آثارها في الوجود.. اتعلم وأنام وأقوم على حب الله تبارك وتعالى من خلال الطاعة الظاهرة، والطاعة الباطنة.

يقول: "فأفٍ لقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به، لقد صرف عنه خير الدنيا والآخرة"

الأسبوع القادم بعد ما طلعنا أول طلعة من الغلاف الجوي بالطائرة هنبدأ نخطي أول خطوة في المدارج كل اللي فات ده كان مجرد مقدمة، برفان بس عشان نشم.

إن شاء الله تعالى الأسبوع القادم نبدأ أول المنازل.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.